الفصل الثاني

الحركة الوطنية والثورة العراقية الكبرى 1920

ادركت الحركة الوطنية هدف السياسة البريطانية في استمرار السيطرة البريطانية المباشرة، وعدم تنفيذ الوعود التي اعطيت للعرب في الحصول على الاستقلال والوحدة فقامت بتصعيد المقاومة ضد الاحتلال ورموزه بغية الحصول على الاستقلال التام، وساعدت الاوضاع العربية آنذاك العراقيين على تصعيد مقاومتهم للاحتلال، فقد انتفضت مصر بقوة ضد بريطانيا في عام 1919 وشملت الانتفاضة مصر كلها تقريباً، وكلفت البريطانيين الخسائر الكثيرة، ويقول العمري ان للثورة المصرية اثراً كبيراً في تشجيع العراقيين على الثورة ضد البريطانيين، وان اطلاع العراقيين على انتصارات المصريين على البريطانيين قوى من عزائمهم فأخذوا يستخفون بالانكليز وبمقدتهم الحربية، وانتعشت الروح الوطنية انتعاشاً هائلاً [1].

اما قيام الحكومة العربية في دمشق (1918-1920)، وانتخاب فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً مستقلاً في (6آذار 1920) فقد شجع العراقيين الموجودين

في دمشق على عقد مؤتمر عراقي في (8 آذار) والمناداة بالامير عبد الله ملـ
على العراق. ويبدو ان الموظفين في الحكومة العربية في الشام استغلوا
مراكزهم المهمة في تلك الحكومة فأخذوا يعملون على ادارة الحركات الوط
الرامية لانقاذ اجزاء من وطنها من ايدي السلطات البريطانية التي كانت تسيط
على العراق حينذاك، كما انتشرت الشائعات بين العراقيين بأن الدولة العربية ف
الشام قد اصبحت قوية، وان رجالها، وفي مقدمتهم الملك فيصل، قد عزم
على تحرير العراق من الاستعباد البريطاني، وقد كان لهذه الشائعات اثرها في
دفع المواطنين الى التحفز للثورة ضد الاحتلال [2].

وبدلاً من ان تستجيب بريطانيا للمطالبة الشعبية بتقرير المصير، سارعت
هي وحلفاؤها الى الاجتماع في سان ريمو في ايطاليا في (25 نيسان 1920
ووزعوا الانتدابات [3] على الممتلكات الاسيوية التي انسلخت عن الامبراطورية
العثمانية، فأنيط انتداب العراق وفلسطين وشرق الاردن ببريطانيا، وانتداب سورية
ولبنان بفرنسا، وقد جاء توزيع الأنتدابات حسبما اتفق عليه الحلفاء سابقاً في
معاهدات واتفاقيات سرية اثناء الحرب، وأهمها اتفاقية سايكس- بيكو في
(16 مايس 1916)، فضلاً عن الظروف التي فرضتها نتائج الحرب.

تضمنت لائحة الانتداب على العراق جملة امور منها:

1. تضع بريطانيا في اقرب وقت، لا يتجاوز ثلاث سنين من تاريخ تنفيذ
الانتداب، قانوناً اساسياً للعراق (دستوراً) يعرض على مجلس العصبة
للمصادقة ويسن هذا القانون بمشورة الحكومة الوطنية ويبين حقوق
الاهالي الساكنين ضمن البلاد ومنافعهم ورغائبهم، ويحتوي على مواد
تسهل تدرج العراق وترقيه كدولة مستقلة، وتجري ادارة العراق، قبل
صدور القانون الاساسي طبقاً لروح الانتداب.

2. يحق لبريطانيا الاحتفاظ بقوة عسكرية في العراق لأجل الدفاع عنه، مع تأليف جيش محلي بأشراف بريطانيا هدفه العمل لاقرار الامن الداخلي والدفاع عن البلاد، ويحق لبريطانيا في كل وقت استعمال الطرق والسكك الحديد والموانيء العراقية، لتحريك القوات المسلحة ونقل الوقود والارزاق.
3. تقوم بريطانيا بأدارة علائق العراق الخارجية، ولها الحق بفرض الحماية السياسية والقنصلية على رعايا العراق في البلدان الاجنبية.
4. تتعهد بريطانيا بالمحافظة على وحدة الاراضي العراقية، فلا تتنازل عنها ولا تؤجرها ولا تضعها تحت سلطة دولة اجنبية [4].

أذيع خبر الانتداب البريطاني على العراق في بغداد يوم (3 أيار 1920) ببيان أصدره ارنولد ولسن، وكيل المندوب السامي، فأعلن الشعب معارضته واستنكاره ورفضه لكل انتداب او وصاية او حماية، خاصة وان كلمة انتداب لفظة بغيضة غير مألوفة في نظر الجمهور [5].

وتوتر الجو السياسي في العراق، وعقد زعماء الحركة الوطنية سلسلة من الاجتماعات السرية، وقرروا اتخاذ التدابير لحشد الجماهير الشعبية وراء الاهداف الوطنية الكبرى للحصول على الاستقلال التام، وشكلوا هيئة من خمسة عشر زعيماً لعرض المطالب الوطنية، وعقدت الاجتماعات المعروفة ب (المواليد) في شهر رمضان المبتدى في (16آيار) اشترك فيه الخطباء والمثقفين، فتحولت الى مهرجانات شعبية تطالب بالاستقلال وتندد بالانتداب، فقوبلت تلك الاجتماعات بسياسة الشدة من قبل السلطات البريطانية بما فيها اطلاق النار واستخدام السيارات المسلحة لتفريق التجمعات االجماهيرية، وقد حدثت مظاهرة جماهيرية واسعة في يوم (2 حزيران) عندما قابل ممثلوا الحركة الوطنية وكيل الحاكم الملكي وطالبوا بأجابة المطاليب الاتية:

1. انشاء مجلس تأسيسي (جمعية وطنية) تضع الدستور وتقرر شكل الحكم
2. اطلاق حرية الصحافة [6].

اصدرت الحكومة البريطانية بلاغاً في (20حزيران) رداً على المطالبة
اوضحت فيه شروط (وكالة حكومة بريطانيا على، العراق) التي سبقت الاشارة
اليها، وزعم البلاغ أن بريطانيا ستمهد مسالك الرقي للعراق بصفة حكومة مستقلة
تتمكن من الوقوف بنفسها، وحينئذ تنهي الوكالة، ولتحقيق هذا الهدف، كلفت
الحكومة البريطانية السير بيرسي كوكس بتنفيذ المهمة، وسيعود الى بغداد في
الخريف، ويصبح الممثل الاعلى للحكومة البريطانية في العراق بعد انتهاء
(الادارة العسكرية) وسيخول السير بيرسي كوكس صلاحية تنظيم مؤقت ل:

1. مجلس شورى تحت رئاسة عربي.
2. مؤتمر عراقي يمثل اهالي العراق ينتخب اعضاؤه بأختيارهم ويكون

واجبه الاول اعداد القانون الاساسي[7]. كان ارنولد ولسن يأمل من هذا
البيان وقف نشاط الحركة الوطنية، لكن بيانه لم يحقق اغراضه، لأن
روح الثورة اصبحت منتشرة في مناطق العراق المختلفة. ووضعت
الخطط لها، وعقدت الاجتماعات في بغداد وكربلاء والنجف وغيرها
وأخذ الموظفون يستقيلون من خدمة الحكومة واحداً بعد الاخر
وانتفض الفلاحون ولم يدفعوالضرائب الى سلطات الاحتلال التي
بدأت بأعتقال شيوخ القبائل. وهكذا ظهرت امارات السخط على
المستعمرين في كل مكان وأصبح الوضع لايعوزه غير الشرارة لأشعال
نار الثورة [8].

وكان القشة التي قصمت ظهر البعير اعتقال (الشيخ شعلان ابو الجون
شيخ قبيلة الظوالم في (30حزيران) في الرميثة، فهاجم رجاله سراي الحكو

وقتلوا بريطانيين وانقذوا شيخهم، فكانت تلك الرصاصات ايذاناً بأعلان الثورة في العراق [9]، تلك الثورة التي كان الفلاحون وقودها، وكانت اسلحتهم بدائية وقديمة البنادق فقط، مع وجود اغلبية منهم دون سلاح. اما القوات البريطانية في العراق، فكانت بقيادة السير ايلمر هالدين Haldane، وتضم (133) الف جندي منهم (4200) بريطاني والباقي من جنسيات مختلفة اغلبهم من الهنود [10]، وكانت هذه القوات مدربة تدريباً جيداً ولديها اسلحة متطورة بما فيها المدافع والطائرات.

امتدت الثورة بسرعة الى مناطق العراق المختلفة، فأعلنت الثورة في النجف يوم (2 تموز) ورفع علم الثورة العربية على سراي الحكومة، واسرع الناس الى الجهاد في سبيل الله والوطن وتمكن الثوار في الرميثة من قطع سكة الحديد ومقاتلة القوات البريطانية التي زحفت نحو الرميثة، وحاصروها حصاراً شديداً على الرغم من قصف الطائرات البريطانية، مما اضطر القوات البريطانية الى التراجع نحو الحلة، وفي الشامية استطاع الثوار السيطرة على المدينة، واجبرت الحامية البريطانية على الانسحاب الى الديوانية، وقد شجعت هذه الانتصارات مناطق العراق الاخرى لأعلان الثورة، وتمكن الثوار من احراز نصر كبير في موقعة الرارنجية (الرستمية) عندما هاجموا قوة بريطانية كبيرة مجهزة بالأسلحة الحديثة عند قناة الرستمية قرب الكفل يوم (24 تموز) فأضطرت القوات البريطانية الى التقهقر نحو الحلة بعد ان فقدت (318) جندياً، وغنم الثوار (40) رشاشاً ومدفعاً واحداً.

وفي مناطق العراق الاخرى، عمد الثوار في السماوة الى تدمير سكة الحديد لعرقلة أرسال النجدات للقوات البريطانية، كما تمكنوا من اسقاط طائرة تحطمت وقتل قائدها وهاجموا الباخرة البريطانية كرين افلاي وأسروا جنودها،

واضطروا الانكليز في النهاية الى الجلاء عن السماوة. وفي الكوفة هاجم الثو
الباخرة البريطانية فابر افلاي وهي مجهزة بمدفعين واثنى عشر رشاشاً، بواسط
المدفع الذي غنموه في معركة الرارنجية بعد ان اصلحوه واستعملوه بمهار
وفي الرمادي اهتز موقف الانكليز واستطاع الشيخ ضاري ورجاله في (12 آب
من قتل الكولونيل لجمان leachman، حاكم لواء الدليم السياسي. وفي ديال
تمكن الثوار من تعطيل سكة الحديد بين بغداد وخانقين لمنع القوات البريطا
في ايران من أرسال النجدات الى العراق، وسيطر الثوار على مدينة بعقو
وشكلوا حكومة فيها، وأمتدت الثورة الى كركوك واربيل والموصل والسليما
واصبحت بغداد شبه محاصرة بعد ان وصل الثوار قرب المسيب وعطلوا سك
الحديد بين بغداد والحلة وهاجموا المحمودية، مما اضطر قائد بغداد العسكر
الى القيام بأنشاء الحصون والمعاقل استعداداً للدفاع عنها [11].

استأثرت اخبار الانتصارات الثورية في العراق بأهتمام الرأي العام العر
والعالمي وأعلنت بعض الشعوب الرازحة تحت نير الاستعمار تضامنها م
النضال البطولي الذي يخوضه الشعب العراقي، وواجهت الحكومة البريطا
معارضة داخلية نتيجة لحرب الأبادة التي شنتها ضد الشعب العراقي، والخسا
المادية والبشرية التي مني بها البريطانيون في العراق، وكتبت جريدة التايم
اللندنية تقول: "أنه يجب ان يوضع حد لهذه الحماقة، ويجب على الحكومة
تغير سياستها في الشرق الاوسط". وطالبت بعودة بيرسي كوكس المندو
البريطاني الى بغداد، وتأسيس دولة عربية مستقلة [12].

اتبع البريطانيون "سياسة فرق تسد" لأضعاف قوى الثورة وشجعوا القبا
وأثارة الخصومات بين قادة الثورة، الامر الذي حال دون وحدة القيادة العسكر
وقاموا في الوقت نفسه بتعزيز قواتهم في العراق ومهاجمة مناطق العراق، و

وصل السير بيرسي كوكس الى بغداد لتولي منصب المندوب السامي في (11تشرين الاول) واصدر بعد وصوله بياناً في (26 تشرين الاول) موجهاً الى الشعب العراقي، حاول فيه تعطيل شعبية الثورة، وتظاهر بعدم معرفة الأسباب التي دعت اليها جاء فيه:

ان فخامة نائب الملك، السير بيرسي كوكس يعلن ان حكومة بريطانيا العظمى، انتدبته ليعود الى العراق، لتنفيذ مقاصد الحكومة الثابته بمساعدة رؤوساء الامة، ولتشكيل حكومة وطنية في العراق، بنظارة حكومة بريطانيا، ولقد يصعب جداً على فخامته تنفيذ منويات الحكومة البريطانية، ما دامت بعض اقسام العشائر في العراق تعادي الحكومة... ولا يعلم فخامته غرض العشائر الذين يشغلون انفسهم بالحرب، فأذا كان هناك سوء مفهومية يمكن ازالتها، فيسر فخامته ان يبلغ العشائر ذلك بواسطة اقرب حاكم سياسي اليهم [13].

خفت حدة المعارك العسكرية، بعد فترة قصيرة من وصول بيرسي كوكس وأعتبرت الثورة منتهية بعد المفاوضات التي اجرتها بريطانيا مع الثوار في الرميثة، اخر معاقل الثورة وتوقيعها الاتفاق معهم في (20 تشرين الثاني 1920) تعهدت فيه بأن تكون للعراق حكومة عربية مستقلة، وعدم مطالبة الثوار بالخسائر التي لحقت بالحكومة البريطانية، مع الاعفاء من الضرائب لسنة الثورة على ان يتعهدوا بتوطيد الامن والنظام في مناطقهم وان يأخذوا على عاتقهم المحافظة على السكة الحديد المارة في مناطقهم. وان يسلموا الحكومة البريطانية الفين واربعمائة بندقية [14].

وفي تقويم الثورة لابد من القول أنها ثورة وطنية وقومية هدفها الحصول على الاستقلال التام وتشكيل دولة عراقية مستقلة، وشاركت فيها جماهير واسعة من مختلف فئات الشعب، وكانت ثورة منظمة لها منهاج واضح وقيادة وطنية،

ولها صحافة عبرت عن اهدافها، وكانت جريدة (الفرات) التي صدرت في النجف في (6 آب 1920، 21 ذي القعدة 1328) الناطقة بلسان الثورة، قد فضحت في اعدادها سياسة بريطانيا الاستعمارية، واوضحت أسباب الثورة، واكدت ثورة فجر بركانها الضغط، واضرم نارها الاستبداد ووسعها القضاء على الحرية والتجاوز على الحقوق، وقد نفذ صبر الامة لما تلاقيه من جور حكام الاحتلال وادرك العراقيون ان المطالبة القانونية والمظاهرات السلمية لا تجدي نفعاً ولا تسترجع حقاً سيما ان هذا الاحتجاج العادل لا ينعكس في الاندية السياسية في العالم لأستئثار الانكليز بكافة ادوات الاتصال بين البلاد كالبرق والبريد والصحافة [15]. وشاركت جريدة "الاستقلال" التي صدرت في النجف ايضاً في (3 تشرين الاول 1920، 18 محرم 1329) زميلتها الفرات في نشر مظالم المحتلين والرد على (اضاليلهم) وتوضيح مطالب الامة المشروعة لدى الرأي العالمي، ونشر اخبار المعارك وتبصير الأمة بالحالة السياسية [16].

اما البريطانيون فقد نظروا الى الثورة على انها قلاقل واضطرابات قامت بها العشائر ضد السلطة المحتلة، متجاهلين الدوافع الحقيقية للثورة، فالسير ارنولدولسن، نائب الحاكم الملكي العام خلال الثورة، لم يستطيع اخفاء عواطفه المناهضة للثورة عندما كتب عنها فوصف العراقيين بأوصاف بعيدة عن الواقع ومنافيه لأبسط قواعد التعامل لكنه اضطر تحت ضغط الحقيقة أن يعجب من وحدة دوافع هذه القبائل الوطنية والدينية لمقاومة السلطات البريطانية عند قيام الثورة.

اما الجنرال هالدن Haldane، القائد العام للقوات البريطانية في العراق أبان الثورة، فقد هاجم الثوار ووصفهم بأوصاف تقترب من أوصاف ولسن، لكنه يتردد في الثناء على الثوار في بعض المناسبات التي تستوجب الثناء [17].

وكانت الثورة بالنسبة للعراقيين حرباً وطنية من أجل الاستقلال، برهنت على قوة العمل الوطني الموحد في تحدي القوات البريطانية التي خرجت "مظفرة" من الحرب العالمية الاولى، ودلت الثورة على ان الوعي القومي العربي كان قوة يحسب حسابها، وأن السياسة المؤسسة على القسر باهضة التكاليف، وربما انها معدومة الجدوى[18].

كبدت الثورة بريطانيا الكثير من الخسائر المادية والبشرية، وقد قدر الجنرال هالدن الخسائر البشرية ب (2269) اصابة [19]، اما الخسائر المادية فقدرت بين (20-40) مليوناً من الجنيهات الأسترلينية، مما دفع الرأي العام البريطاني والصحافة البريطانية الى المطالبة بالأنسحاب من العراق، فأضطرت الى سياسة تمشية الأنتداب عن طريق المعاهدة والوصول بالعراق الى مرحلة الدخول في عصبة الأمم بأسرع مما كانت حكومة بريطانيا قد ازمعت ان تفعله في باديء الأمر، عندما أخذت مهمة الأنتداب على عاتقها[20].

الحكومة العراقية المؤقتة:

لم يكن قرار السلطات البريطانية بتشكيل الحكومة المؤقتة، الا نتيجة لأستمرار الانتفاضات الشعبية ضد الأحتلال، التي بلغت ذروتها في ثورة العشرين فبعد وصول بيرسي كوكس الى بغداد في (11 تشرين الأول 1920)، الذي وصف بأنه الشخص الأمثل، من وجهة النظر البريطانية، لمعالجة الوضع المظطرب في العراق لماله من معرفة سابقة مع بعض الساسة العراقيين، وبدأ على الفور بتنفيذ السياسة البريطانية الجديدة، فأجري مشاورات واسعة مع بعض

أن يؤسس مجلس من الوزراء العرب يشرف عليه مستشارون بريطانيون

على ان يكون بأدارة المندوب السامي البريطاني المباشرة [21].

وبعد ان حصل كوكس على التأييد لأرائه رشح عبد الرحمن الكيلاني

نقيب اشراف بغداد، لتولي رئاسة المجلس لمركزه الديني لكنه واجه صعوبة في

اقناع النقيب لتولي هذا المنصب. وكان النقيب قد اعلن في شباط 1919

عزمه عدم الأشتراك في الشؤون السياسية بقوله:

"ان صيرورتي رئيساً سياسياً للدولة، هي ضد اشد مباديء عقيدتي

وسوف لا اتراجع عما قلته حتى اذا كان في ذلك انقاذ العراق من الدمار التام"

وكان النقيب معجباً بشخصية بيرسي كوكس [23].

استطاع كوكس اقناع النقيب تولي رئاسة المجلس، وكان كوكس قد

تأليف مجلس يضم رئيساً وثمانية وزراء، يكون كل منهم على رأس وزارة

وزارات الدولة، ومع كل وزير مستشار بريطاني، مع عشرة وزراء بلا وزارة

تمثيل مناطق العراق المتعددة، وقام كوكس بترشيح الوزراء وطلب من

توجيه الدعوة لهم، لكي لا يعطي الأنطباع السيء عن التدخل البريطاني

المباشر في شؤون الحكومة الجديدة، التي اريد ان تكون واجهة عراقية

بريطانية [24].

وهكذا تم تشكيل الوزارة النقيبية الاولى [25] التي عقدت اجتماعها

في دار النقيب يوم (2 تشرين الثاني) والقى النقيب في الأجتماع كلمة

جداً دعا فيها الى المثابرة في العمل دون ان يحدد واجبات المجلس ودوره

الحياة السياسية. وفي (8 تشرين الثاني) اصدر المندوب السامي بياناً اوضح

ان الهدف من تشكيل الحكومة المؤقتة هو الاسراع في تمهيد الطريق امام

العراقي لأبداء الرأي في شكل الحكومة

يمثل الشعب العراقي تمثيلاً صحيحاً، والى ان يحين موعد تأليف المؤتمر

وأصدار القانون الأساسي فان الحكومة تقوم بأدارة "الواجبات العمومية" بإشراف

المندوب السامي [26].

وحدد كوكس صلاحيات الحكومة المؤقتة في مذكرة صدرت على شكل

تعليمات لمجلس الوزراء، وأوضحت المذكرة ان كل وزير يعتبر رئيساً لدائرة من

دوائر الدولة ومسؤولاً عن ادارتها شرط ان يكون خاضعاً الى اشراف مجلس

الوزراء، ومشورة المستشار البريطاني وسلطة المندوب السامي العليا، والذي

تكون قراراته نهائية في جميع الأمور [27].

قامت الحكومة المؤقتة بتقسيم العراق الى وحدات أدارية وتعيين موظف

عراقي لكل وحدة أدارية، والى جانبه مستشار بريطاني وسمحت بعودة السياسيين

المنفيين من الذين ابعدوا لنشاطهم في خلال الثورة. وعلى الرغم من ذلك فان

تشكيل هذه الحكومة لم يرضي طموح العراقيين الذين يطالبون بالأستقلال التام

واقامة دولة مستقلة لهذا نظروا الى الحكومة المؤقتة بعين الشك في قدراتها

على الأستجابة لمطامح العراقيين، وأزدادت الأنتقادات للانكليز ولخططهم

في العراق [28].